في قلوبكم، تُطالَبون حينئذ بقوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة البقرة] إذا أحبَّ الله عبدًا جعل في قلبه الرأفة والشفقة لسائر المخلوقات، وعوَّد كفه السخاء، وقلبه الرأفة، ونفسه السماحة، وبصَّره بعيوب نفسه حتى يستصغرها ولا يراها شيئًا.

العارف حزين إذا فرِح الناس، كئيب من غير يأس، فرحه قليل، وبكاؤه طويل، همه عيوبه وذنوبه، بذلت نفسي ولم أترك طريقًا إلا سلكته، وعرفت صحته بصدق النية والمجاهدة، فلم أجد أقرب وأوضح وأحب من العمل بالسنة المحمدية، والتخلق بخُلُق أهل الذل والانكسار، والحَيرة والافتقار، كان الصدِّيق الأكبر السيد أبو بكر رضي الله عنه يقول: الحمد لله الذي لم يجعل الوصول إليه إلا بالعجز، والعجز عن درك الإدراك إدراك[1].

«أي سادة» من الخشية تكون المحاسبة، ومن المحاسبة تكون المراقبة، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله، فإن أغبط الناس في زماننا مؤمن عرف زمانه، وحفظ لسانه، ولزم شأنه كان من الصالحين، قلت لسيدي عبد الملك الخرنوتي قدَّس الله سره: أوصني، قال لي: «يا أحمد، ملتفت لا يصل، ومشككٌ لا يُفلح، ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان»، فبقيت سنة أردد وصية الشيخ، وما يخطر لي خاطر إلا أذكرها فيزول عني، ثم إني زرته في السنة الأخرى، ولما أردت الخروج من عنده قلت له: أي سيدي أوصني، فقال لي: «يا أحمد، ما أقبح العلة بالأطباء، والجهل بالألباء، والجفاء بالأحباء»، فخرجت من عنده وصرت أرددها سنة على نفسي، وانتفعت به وبوصيته.

---

(١) معناه أن الله تبارك وتعالى موجود بلا مكان ولا كيف له ولا تطلب معرفته بالتصور.